

المبحث الثالث: القافية وحروفها

تعريفها لغة:

القافية لغة على وزن فاعلة، من القَفُو وهو الاتباع؛ وإنما قلبت الواو ياءً لانكسار ما قبلها، وسُمي المعنى المراد هنا بذلك؛ لأن الشاعر يقفوه أي يتبعه، فالقافية على هذا بمعنى مقفوة مثل قوله تعالى: (فهو في عيشة راضية) أي مرضية، وقيل: لأنه يقفو ماسبق من الأبيات، أولاً لأنه يقفو آخر كل بيت.

تعريفها اصطلاحاً:

القافية في اصطلاح العروضيين علمٌ بأصول يُعرف به أحوال أواخر الأبيات الشعرية من حركة وسكون، ولزوم وجواز، وفصيح وقبيح، وهي مع هذا اسم لعدد من الحروف ينتهي بها كل بيت.

حدودها:

وأما حدودها فقد تعددت الآراء في ذلك، ولعل أقربها إلى الصواب رأي الخليل بن أحمد الذي يقول: (القافية عبارة عن الساكنين اللذين في آخر البيت مع ما بينهما من المتحرك حرفاً كان أو أكثر، ومع الحركة التي قبل الساكن الأول). مثال ذلك قول الإمام علي (عليه السلام):

نَعِيبَ زَمَانِنَا وَالْعَيْبُ فِينَا	وَمَا لَزَمَانِنَا عَيْبُ سَوَانَا
---------------------------------------	------------------------------------

فالقافية عند الخليل في هذا البيت هي قول الشاعر: (وَأَنَا) = ٥/٥/ وهي باختصار من أول متحرك قبل آخر ساكنين.

صورها:

بناءً على رأي الخليل فإن القافية ليست محددة بعدد من الكلمات.

فقد تكون القافية بعض كلمة، كقول كعب:

بَانَتْ سَعَادُ فِقْلِي الْيَوْمَ مَتَبُولُ	مَتِيمٌ إِثْرَهَا لَمْ يَفِدْ مَكْبُولُ
---	---

فالقافية هنا هي: (بُؤْلُو = ٥/٥/) من (مَكْبُولُ) وهي جزء من كلمة.

وقد تكون كلمة تامة، كقول المتنبي:

وَإِذَا أَتَيْتُكَ مَذْمِي مِنْ نَاقِصٍ	فَهِيَ الشَّهَادَةُ لِي بِأَنِّي كَامِلُ
---	--

فالقافية في هذا البيت هي: (كَأْمِلُو = ٥//٥/) وهي كلمة تامة.

وقد تكون القافية كلمة وبعض كلمة، كقول المتنبي:

إِنْ كَانَ سِرِّكُمْ مَا قَالَ حَاسِدُنَا	فَمَا لَجِرِحَ إِذَا أَرْضَاكُمْ أَمُّ
---	--

فالقافية هنا هي: (مُو أَلْمُو = ٥///٥) وهي كلمة وجزء من كلمة.
وقد تكون القافية كلمتين، كقول ابن الوردي:

لاتقل أصلي وفصلي أبداً	إنما أصل الفتى ما قدَّ حصَلْ
------------------------	------------------------------

فالقافية هنا هي: (قَدَّ حَصَلْ = ٥//٥) وهما كلمتان.
وقد تكون القافية كلمتين وبعض كلمة، كقول الحميري:

لما رأوا أنّ يومهمُ أشبَّ	شدُّوا حيازيمهم على أَلْمِة
---------------------------	-----------------------------

فالقافية هنا هي: (لا أَلْمِة = ٥///٥) ف (لا) بعض كلمة، (أَلْمِة) كلمة،
(ه) ضمير وهو كلمة.

وقد تكون القافية ثلاث كلمات، كقول أبي العتاهية:

حُلْمُ الفتى مما يُزَيِّتُهُ	وتمام حلية فضله أَدْبُهُ
------------------------------	--------------------------

فالقافية هنا هي: (هِيَ أَدْبُهُ = ٥///٥)، وهي ثلاث كلمات: الضمير (ه) من قوله: (فضله)،
وكلمة (أدب)، والضمير (ه) من قوله: (أدبُهُ).

أهمية القافية: القافية شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر، ولا يسمى الكلام شعراً حتى يكون له وزن وقافية؛ فهما أساسان في الشعر حسب نظرية عمود الشعر عند المرزوقي. فالقافية تعطي الشعر نغمة موسيقية رائعة، فيقدر ما يكون فيها من حروف ملتزمة بقدر ما يكون لها من إيقاع موسيقي متميز، كما أنها تضبط المعنى وتحدده، وتشد البيت شدا قويا بكيان القصيدة العام ولولاها لكانت محلولة مفككة.

أسئلة وتدرّبات على ماسبقت دراسته

س ١: عرف القافية في اللغة وفي اصطلاح العروضيين.

س ٢: تعدت الآراء في حدود القافية ، اذكر رأي الخليل في ذلك.

س ٣: القافية على رأي الخليل ليست محددة بعدد من الكلمات، وضح ذلك مع ذكر شواهد لما تقول.

س ٤: القافية شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر، وضح أهمية القافية في إبراز جمال الشعر العربي.

س ٦: حدد القافية في الأبيات الآتية:

إذا احتربت يوماً ففاضت دماؤها	تذكرت القرى ففاضت دموعها
إذا لم تستطع شيئاً فدعه	وجاوزه إلى ما تستطيع
يزدحم الناس على بابه	والمورد العذب كثير الزحام

حروف القافية

حروف القافية ستة لا بد من وجود بعضها ضمن القافية على تعريفها السابق، ولا يعني ذلك أنه يجب أن تجتمع كلها في قافية واحدة، ومادخل منها أول القصيدة وجب التزامه. وحروف القافية ستة هي: الرَّوِّي، الوَّصل، الخُرُوج، الرِّدْف، الدَّخِيل، التَّأْسِيس. **أولاً: الرَّوِّي:** هو حرف يختاره الشاعر من الحروف الصالحة، فيبني عليه قصيدته، ويلتزمه في جميع أبياتها، وإليه تنسب القصيدة؛ فيقال: قصيدة همزية إن كانت الهمزة هي الرَّوِّي كهمزية شوقي، أولامية إن كانت اللام هي الرَّوِّي كلامية العرب. وسمي رويًّا؛ لأن أصل (رَوَى) في كلام العرب للجمع والاتصال والضمّ، ومنه الرِّوَاء وهو الحبل الذي يشد على الأحمال والمتاع ليضمها، وكذلك حرف الرَّوِّي ينضم ويجتمع إليه جميع حروف البيت؛ فلذلك سمي رويًّا.

لياليَّ بعدَ الظاعنينَ شكولُ	طوالٌ وليلُ العاشقينَ طويلُ
------------------------------	-----------------------------

ثانياً: الوَّصل: سمي الوَّصل بهذا الاسم لوصله بالرَّوِّي ومجيئه بعده مباشرة، وحروف الوَّصل هي الألف والواو والياء، سواء أكانت هذه الأحرف للإشباع أم لغيره مما سبق ذكره، الذي لا يصلح أن يكون رويًّا، أو هاءً متحركةً أو ساكنةً تلي الرَّوِّي مما لا يصلح أن يكون رويًّا: مثال الألف قول الشاعر:

وما نيل المطالب بالتمني	ولكن تؤخذ الدنيا غلابا
-------------------------	------------------------

ومثال الياء (شمسي) من قول الشاعر:

يذكرني طلوع الشمسِ صحراً	وأذكره لكلِّ طلوعِ شمسِ
--------------------------	-------------------------

ومثال الواو (المكأرمو) من قول الشاعر:

على قدر أهل العزم تأتي العزائمُ	وتأتي على قدر الكرام المكارمُ
---------------------------------	-------------------------------

ومثال الهاء الساكنة قول الشاعر:

ولو لم يكن في كفه غيرُ روحه	لجأَ بها فليتقى الله سائلُهُ
-----------------------------	------------------------------

ومثال الهاء المتحركة قول الشاعر:

إذا كنتَ في حاجةٍ مرسلًا	فأرسلَ حكيمًا ولا توصِه
--------------------------	-------------------------

ثالثاً: الخُرُوج: سمي بهذا الاسم لخروجه وتجاوزه الوَّصل التابع للرَّوِّي، فهو موضع الخُرُوج من بيت القصيدة حيث لا يأتي بعده حرف، والخُرُوج يكون بالألف أو بالواو أو بالياء يتبعن هاء الوَّصل.

مثال الألف قول الشاعر:

يمشي الفقيرُ وكلُّ شيءٍ ضدهُ	والناسُ تغلقُ خلفه أبوابها
------------------------------	----------------------------

ومثال الياء (مالهي) من قول الشاعر:

وإذا امرؤٌ أهدى إليك صنيعاً	من جاهه فكأنها من ماله
-----------------------------	------------------------

ومثال الواو (ينفعهُ) من قول الشاعر:

جاوزت في لومه حدًّا أضرَّ به	من حيثُ قدرت أن اللومَ ينفعهُ
------------------------------	-------------------------------

ملاحظة:

إذا كان قبل الهاء حرفٌ مدٌّ فإن الهاء في هذه الحالة تكون رويًا، وما قبلها ردفٌ وما بعدها وصلٌ؛ مثال ذلك:

سأتركُ ماءكم من غيرِ وردٍ	وذاك لكثرة الوردِ فيه
وينشأ ناشئُ الفتيانِ منا	على ما كان عودُهُ أبوهُ
حتى متى أنت في لهوٍ وفي لعبٍ	والموتُ نحوك يهوي فاعزًّا فأه

فكل من الياء الثانية في (فيهي)، والواو الثانية في (أبوهو)، والواو في (فأهو) وصل.

رابعاً: الرِّدْفُ: وهو مأخوذ من ردف الراكب؛ لأن الرُّويَّ أصل فهو الراكب وهذا كرده، والردف هو ما يقع قبل الروي مباشرة من غير فاصل، ويكون من حروف المد الثلاثة، وحروف اللين وهي الواو والياء الساكنتان بعد حركة غير مجانسة لهما، والألف تعتبر أصلاً. ويجوز في الياء والواو أن يتعاقبا في القصيدة الواحدة ويجوز أن يكون الرِّدْفُ والرُّويُّ من كلمة واحدة أو كلمتين، ولا تعتبر الياء أو الواو المحركتين أو المشددتين ردفًا.

مثال للردف بالألف:

كأن قطاةً غلقتُ بجناحها	على كبدي من شدة الحفمانِ
-------------------------	--------------------------

مثال للردف بالواو:

تأَنَّ ولا تعجل بلومك صاحبًا	لعل له عذرًا وأنت تلومُ
------------------------------	-------------------------

مثال للردف بالياء:

لا تنه عن خلقٍ وتأتي مثله	عازٌّ عليك إذا فعلت عظيمُ
---------------------------	---------------------------

مثال المعاقبة بين الواو والياء إذا كانا مديين:

كم عالمٍ عالمٍ أعيث مذهبهُ	وجاهلٍ جاهلٍ تلقاه مزروقًا
هذا الذي جعل الأفهام حائرةً	وصير العالم النحرير زنديقًا

مثال للمعاقة بين الواو والياء إذا كانا حرفي لين:

يأبها الخارج من بيته	وهاربا من شدة الخوف
ضيئك قد جاء بزاد له	فارجع وكن ضيفا على الضيف

خامسا: التأسيس: والتأسيس لا يكون إلا بالألف قبل حرف الروي بحرف واحد، فالتأسيس إذا حرف ألف بينها وبين حرف الروي حرف واحد صحيح، وهذا الحرف الصحيح الذي يفصل بين ألف التأسيس وحرف الروي يسمى (الدخيل) وهما متلازمان فسميت الألف تأسيسا لأنه يحافظ عليها في قافية القصيدة كأنها أس للقافية، وقيل: لأنها تقدمت على جميع حروف القافية. ويجوز أن تكون ألف التأسيس والدخيل في كلمة واحدة أو كلمتين، مثال ألف التأسيس:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم	وتأتي على قدر الكرام المكارم
وتعظم في عين الصغير صغارها	وتصغر في عين العظيم العظائم

سادسا: الدخيل: وهو حرف متحرك يقع بين ألف التأسيس والروي، وسمي دخيلا لأنه دخيل في القافية؛ وذلك لوقوعه بين حرفين -الروي والتأسيس- خاضعين لمجموعة من الشروط في حين لا يخضع هو لشروط مماثلة فشابه الدخيل في القوم. والدخيل حرف لا يلتزم بذاته وإنما يلتزم بنظيره وهو واقع بين حرفين ملتزمين من حروف القافية، فإذا التزمه الشاعر فهو لزوم ما لا يلزم كما فعل أبو العلاء المعري، ومثال الدخيل قول الشاعر:

إذا كنت في كل الأمور معاتباً	صديقك لم تلق الذي لاتعائنه
فعمش واحداً أوصل أحاك فإنه	معارف ذنب تارة ومجانينه
إذا أنت لم تشرب مراراً على القدى	ظمئت وأي الناس تصفؤ مشاربه

نلاحظ الدخيل جاء في البيت الأول (تاء) وفي الثاني (نونا) وفي الثالث (راء)

نتائج تتعلق بحروف القافية :

١. لا بد لكل قافية من روي.
٢. لا بد لكل قافية مطلقة من صلة؛ لأن الصلة تترتب على إشباع القافية المطلقة.
٣. لا بد لها الصلة المتحركة من خروج، لأن الخروج يترتب على إشباع هاء الصلة المتحركة.
٤. لا تجتمع هاء الصلة الساكنة والخروج.
٥. لا تجتمع القافية المقيدة وحرف الصلة.
٦. لا يجتمع التأسيس والردف.

٧. لا يجتمع الدَّخِيلُ والرَّدْفُ.

٨. لا يفترق التَّأْسِيسُ والدَّخِيلُ.

أسئلة وتدرّيبات على ما سبقته دراسته

أولاً: تمرين محلول: حدد القافية في الأبيات التالية وسمّ حروفها:

١	إذا لم تكن حافظاً واعياً	فجمعك للكُتُبِ لا يَنْفَعُ
٢	وما طلبَ المحامدَ طالبوها	بمثلِ البذلِ والوجهِ الطَّلِيْقِ
٣	إذا المرءُ لم يعتق من المال نفسه	تَمَلَّكهُ المألُ الذي هو مَالِكُهُ
٤	والعين تعلم من عَيْئٍ محدثها	إن كان من حزبها أو من أعادِيْهَا
٥	إن القناعة من يجلل بساحتها	لم يلق في دهره شيئاً يُؤرِّقُهُ
٦	وكن في الطريق عفيفَ الخطى	شريفَ السماعِ كريمَ النَّظَرِ

الحل:

البيت	القافية	الرَّوِيّ	الْوَصْلُ	الخُرُوجُ	الرَّدْفُ	الدَّخِيلُ	التَّأْسِيسُ
١	يَنْفَعُو	العين	الواو	-	-	-	-
٢	لِيَقِي	القاف	الياء	-	الياء	-	-
٣	مَالِكُهُ	الكاف	الهاء	-	-	اللام	الألف
٤	دِيْهَا	الياء	الهاء	الألف	-	-	-
٥	وَرَرِيْهُو	القاف	الهاء	الواو	-	-	-
٦	مَ نَنْظَرُ	الراء	-	-	-	-	-